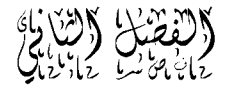

موقف المسيحية من اليهود

كان اليهود ينتظرون مسيحا من نسل داود يجدد لهم الوعود الإلهية ويعيد لهم مملكتهم الغابرة فلما بُعِث يسوع كفروا به ، وكان أول من آمن به وشهد له بأنه النبي الذي يأتي من بعده وأنه جاء ليزيل خطيئة العالم هو يوحنا المعمداني :

" رأى يوحنا يسوع آتيا نحوه فهتف قائلا : هذا حَمَل الله الذي يزيل خطيئة العالم هذا هو الذي قلت عنه إن الرجل الآتي بعدي متقدِّم عليّ " (يوحنا : ١)

وشهد يوحنا أنه ابن الله " أشهد انه ابن الله " (يوحنا : ١)

ويبدأ يسوع بالدعوة إلى دينه الذي هو كمال لرسالات الأنبياء قبله : " لا تظنوا أني جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء ما جئت لألغي بل لأكمل " (متى : ٥)

وآمن به الكثير ممن شهدوا معجزاته .

" وبينما كان في أورشليم في عيد الفصح آمن به كثيرون إذ شهدوا الآيات التي أجراها " (يوحنا : ٣)

جدال اليهود للمسيح

ويبدأ اليهود في مجادلة يسوع حول عقيدته ويرد عليهم يسوع ببيان من هو ؟ وما رسالته ؟

فيقول مجيبا أحد الفريسيين (علماء اليهود) :

" وكما علَّق موسى الحية في البرية فكذلك لابد من أن يُعلَّق ابن الإنسان لتكون الحياة الأبدية لكل من يؤمن به لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية فإن الله لم يرسل ابنه للعالم لكي يدين العالم بل ليخلص العالم به فالذي يؤمن به لا يُدان أما الذي لا يؤمن به فقد صار عليه حكم الدينونة (يوم القيامة) " (يوحنا : ٣)

وتستمر مجادلات اليهود ليسوع ممن آمن به ، وممن لم يؤمن حول قضايا كثيرة يختلف فيها يسوع عما عندهم في شريعة التوراة مثل : قضية نسبهم ونسب يسوع .

فهم يدعون أنهم من نسل إبراهيم ويتهمونه أنه ابن زنا .

ويرد يسوع على هذا الاتهام قائلا :

" أنا أعرف أنكم أحفاد إبراهيم ولكنكم تسعون لقتلي لأن كلمتي لا تجد مكانا في قلوبكم إني أتكلم بما رأيت عند الآب وأنتم تعملون بما سمعتم من أبيكم فاعترضوه قائلين : أبونا هو إبراهيم فقال لو كنتم أولاد إبراهيم لعملتم أعمال إبراهيم ولكنكم تسعون لقتلي وأنا كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله وهذا لم يفعله إبراهيم أنتم تعملون أعمال أبيكم فقالوا له : نحن لم نولد من زنا (أي مثله في زعمهم قبحهم الله) لنا أب واحد هو الله . فقال يسوع : لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من الله وجئت لم آت من نفسي بل هو الذي أرسلني . لماذا لا تفهمون كلامي ؟ لأنكم لا تطيقون سماع كلمتي إنكم أولاد أبيكم إبليس وشهوات أبيكم ترغبون في أن تعملوا " (يوحنا : ٨)

ومن الحوار السابق يظهر سبب الخلاف .

جوهر الخلاف بين اليهود والمسيح

فاليهود يدعون أنهم أبناء الله وهي تعني في شريعتهم أنبياء الله ورسله فقد ذكرت التوراة في مواضع كثيرة أبناء الله بهذا المعنى من هذه المواضع :

" وحدث لما ابتدأ الناس يتكاثرون على سطح الأرض وولد لهم بنات انجذبت أنظار أبناء الله إلى بنات الناس فرأوا أنهن جميلات فاتخذوهن زوجات .. وبعد أن دخل أبناء الله على بنات الناس ولدن لهم أبناء" (التكوين : ٦)

" وقال الرب لموسى حالما ترجع لمصر .. قل لفرعون هذا ما قاله الرب : إسرائيل هو ابني البكر " (الخروج : ٤)

" سيرجعون بنوح وبتضرعات أهديهم إلى جوار جداول المياه أسيرهم فيمشون في طريق مستقيمة لا يعثرون فيها لأني أب لإسرائيل وأفرايم بكري "(إرميا:٣١)

" وها أنا أعلن ما قضى الرب به قال لي الرب " أنت (أي داود) ابني أنا اليوم ولدتك اطلب مني فأعطيك الأمم ميراثا " (المزامير : ٢)

ويقول الرب لداود " إني أقيم بعدك من نسلك الذي يخرج من صلبك من أُثَبِّتُ مملكته هو يبني بيتا لاسمي ، وأنا أثبت عرش مملكته إلى الأبد . أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنا " (صموئيل الثاني : ٧)

فألفاظ مثل " أبناء الله ، ابن الله ، وابني البكر .." في اللغة العبرية تعني الأنبياء والرسل أو الصالحين أو المؤمنين الحقيقيين من خلق الله .

ولقد وردت في الأناجيل بهذا المعنى كثيرا مثل : " آدم ابن الله " (لوقا : ٣) . " طوبى لصانعي السلام فإنهم سيدعون أبناء الله " (متى : هـ)

أما ما جاء في الأناجيل حول استخدام تعبيرات مثل : " أباكم الذي في السماء ،أو أبوكم السماوي ، أو أبوك الذي في الخفاء ، لتكونوا أبناء أبيكم " فهي كثيرة .

واليهود لم ينكروا على يسوع أن يكون ابنا لله بهذا المعنى المجازي – عبد الله ورسوله – لكن الذي أنكروه عليه بل وأدانوه به وحكموا عليه بالصلب هو ادعاؤه أنه الابن الوحيد لله بالمعنى الحقيقي وليس المجازي وأنه ليس مخلوقا كبقية البشر لله إنما هو ابن الله على الحقيقة ، وأنه سيجلس على يمين الله بعد صلبه لإزالة خطيئة العالم .

ويكذب يسوع ادعاء اليهود أنه ابن داود ويؤكد أنه ابن الله .

" وتكلم يسوع فيما هو يُعَلِّم في الهيكل فقال : كيف يقول الكتبة (اليهود) إن يسوع هو ابن داود ؟ فإن داود نفسه قال بالروح القدس : قال الرب لربي :(أي قال الله ليسوع) اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك ! فما دام داود نفسه يدعوه الرب فمن أين يكون ابنه ؟ " (مرقس : ١١)

ويقول في (لوقا : ٢١) " قال لهم : كيف يقال إن المسيح هو ابن داود فيما يقول داود نفسه في كتاب المزامير : قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك إذن داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه "

ولقد تعقب اليهود يسوع وجادلوه طويلا وأنكروا عليه دعوته ولما وجد يسوع أنه لا طائل من ورائهم صب عليهم جام غضبه واصفا إياهم بالرياء والنفاق والعمى ، وبأنهم أحفاد قتلة الأنبياء وأبناء الحيات و الأفاعي، وحملهم مسئولية كل دم زكي سفح ظلما حتى وإن كان دم هابيل ابن آدم ...

" لكم الويل أيها الكتبة والفريسيين (علماء اليهود) المراءون فإنكم تغلقون ملكوت السموات في وجوه الناس فلا تدخلون ولا تدعون الداخلين يدخلون الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم تلتهمون بيوت الأرامل وتذرعون بإطالة صلواتكم لذلك سينزل بكم دينونة أقسى الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا متهودا واحدا فإذا تهود جعلتموه أهلا لجهنم ضعف ما أنتم عليه الويل لكم أيها القادة العميان تقولون من أقسم بالهيكل فقسمه غير ملزم أما من أقسم بذهب الهيكل فقسمه ملزم أيها الجهال العميان أي الاثنين أعظم الذهب أم الهيكل الذي يجعل الذهب مقدسا ... الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم تؤدون حتى عشور النعنع والشبث والكمون وقد أهملتم أهم ما في الشريعة : العدل والرحمة والأمانة كان يجب أن تفعلوا هذه أولا ولا تفعلوا تلك أيها القادة العميان إنكم تصفون الماء من البعوضة ولكنكم تبلعون الجمل الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم تنظفون الكأس والصفحة من الخارج ولكنها من الداخل ممتلئتان بما كسبتم بالنهب والطمع الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم كالقبور المطلية بالكلس تَبْدو جميلة من الخارج ولكنها ممتلئة بعظام الموتى وكل نجاسة كذلك أنتم تبدون للناس أبرارا ولكنكم من الداخل ممتلئون بالرياء والفسق الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الأبرار وتقولون لو عشنا في زمن آبائنا لما شاركناهم في سفك دم الأنبياء فبهذا تشهدون على أنفسكم بأنكم أبناء قاتلي الأنبياء فأكملوا ما بدأه آباءكم ليطفح الكيل أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تفلتون من عقاب جهنم ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء ومعلمين فبعضهم تقتلون وتصلبون وبعضهم تجلدون في مجامعكم وتطاردونه من مدينة على أخرى وبهذا يقع عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل البار إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح الحق أقول لكم إن عقاب ذلك كله سينزل بهذا الجبل ."(متى : ٢٣)

وينهي يسوع لعناته على اليهود بالتوجه إلى أورشليم مسكن اليهود الملاعين الذين سفكوا دماء الأنبياء وكذبوا المرسلين فيقول :

" يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا ! ها إن بيتكم يترك لكم خرابا فإني أقول لكم إنكم لن تروني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب " (متى:٢٣)

و بعد ذلك ينبئ بخراب الهيكل وعلامات نهاية العالم والضيقة الكبرى ومجيئه ثانية في نهاية الزمان (متى:٢٣)

أما اليهود إذ تبين لهم أن يسوع ليس المسيح الذي هو من نسل داود فقد قرروا قتله ليس فقط لأنه اعتدى في السبت بل لأنه ادَّعى أنه ابن الله وليس خَلْقَ الله .

" ولكن يسوع قال لهم : مازال أبي يعمل إلى الآن وأنا أعمل لهذا ازداد سعي اليهود إلى قتله ليس فقط لأنه خالف سنة السبت بل أيضا لأنه قال إن الله أبوه مساويا نفسه بالله " (يوحنا : ٥)

وعبثا حاول يسوع إفهامهم أنه أعظم عن أسلافهم الذين وصفتهم شريعة موسى بأنهم آلهة فكيف ينكرون على من قدسه الرب وبعثه لخراف بني إسرائيل الضالة أن يكون ابنا له :

" كان يسوع يتمشى في الهيكل في قاعة سليمان فتجمع حوله اليهود وقالوا له : حتى متى تُبْقِينا حائرين بشأنك ؟ إن كنت أنت المسيح حقا فقل لنا بصراحة فأجابهم يسوع قلت لكم ولكنكم لا تصدقون والأعمال التي أعملها باسم أبي هي تؤدي لي الشهادة .. أن الأب الذي أعطاني إياها هو أعظم من الجميع ولا يقدر أحد أن ينتزع من يد الآب شيئا أنا والآب واحد فرفع اليهود مرة ثانية حجارة ليرجموه . فقال لهم يسوع : أريتكم أعمالا صالحة كثيرة من عند أبي فبسبب أي عمل منها ترجمونني أجابوه : لا نرجمك بسبب أي عمل صالح بل بسبب تجديفك لأنك تجعل نفسك الله وأنت إنسان فقال: لهم يسوع : أليس مكتوبا في شريعتكم : أنا قلت إنكم آلهة ؟ فإذا كانت الشريعة تدعو أولئك الذين نزلت إليهم كلمة الله (يعني بني إسرائيل) آلهة والكتاب لا يمكن أن يُنقض فهل تقولون لمن قدسه الآب وبعثه للعالم أنت تجدف لأني قلت أنا ابن الله ..فأرادوا ثانية أن يُلقوا القبض عليه ولكنه أفلت من أيديهم "
(يوحنا : ١٠)

فالخلاف الأساسي بين اليهود ويسوع كان حول دعواه بأنه ابن الله الوحيد .

وأخذ الصراع عند يسوع شكل المناقشة والحوار الهادئ أما اليهود فقد أخذ شكل المواجهة المسلحة فليس هنالك علاج لهذا الصراع إلا قتل يسوع الذي كفر بادعائه الألوهية وأصبح خطرا يهدد مكانتهم الدينية ولاسيما أن كل يوم يزداد المؤمنون به بفضل معجزاته .

" فعقد رؤساء الكهنة والفريسيين مجلسا وقالوا : ماذا نفعل ؟ هذا الرجل يعمل آيات كثيرة فإذا تركناه وشأنه يؤمن به الجميع فيأتي الرومان ويدمرون هيكلنا المقدس وأُمَّتنا .. من ذلك اليوم قرر اليهود أن يقتلوا يسوع . فلم يعد يتجول بينهم جهارا " (يوحنا ١١ :)

ويخون يهوذا الإسرخريوطي يسوع ويعد اليهود بان يسلمه لهم .

" ثم ذهب يهوذا الإسخريوطي أحد الاثني عشر إلى رؤساء الكهنة ليسلم يسوع إليهم فلما سمعوا بذلك فرحوا ووعدوه أن يعطوه مالا فأخذ يتحين تسليمه في فرصة مناسبة " (مرقس : ١٤)

وبالفعل يتمكن يهوذا الخائن من تسليم يسوع للكهنة اليهود .

" وصل يهوذا أحد الاثني عشر ومعه جمع عظيم يحلون السيوف والعصي وقد أرسلهم رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ وكان مسلّمه قد أعطاهم علامة قائلا الذي أقبله فهو هو فاقبضوا عليه وسوقوه بحذر فما إن وصل يهوذا حتى تقدم إليه وقال : سيدي وقبله بحرارة فالقوا القبض عليه " (مرقس : ١٤)

محاكمة كهنة اليهود للمسيح

وسيق يسوع إلى محكمة اليهود وهاك طرفا من وقائع الجلسة .

" وساقوه أمام مجلسهم وقالوا إن كنت أنت المسيح فقل لنا . فقال : لهم إن قلت لكم لا تصدقون وإن سألتكم لا تجيبونني إلا أن ابن الإنسان من الآن سيكون جالسا عن يمين قدرة الله فقالوا كلهم : أ أنت إذن ابن الله ؟! قال لهم : أنتم قلتم إني أنا هو " قالوا : أية حاجة بنا بعد إلى شهود فها نحن قد سمعنا شهادة من فمه " (لوقا:٢٢)

ورواية مرقس تزيد بعض التفاصيل " فعاد رئيس الكهنة يسأله فقال : أ أنت المسيح ابن المبارك ؟ فقال يسوع : أنا هو وسوف ترون ابن الإنسان جالسا عن يمين القدرة ثم آتيا على سحاب السماء . فشق رئيس الكهنة ثيابه وقال : لا حاجة بنا إلى شهود قد سمعتم تجديفه (كفره) فحكم الجميع بأنه يستحق الموت فبدأ بعضهم يبصقون عليه ويغطون وجهه ويلطمونه ويقولون له : تنبأ ! وأخذ الحراس يصفعونه " (مرقس : ١٤)

ولكن بيلاطس حاكم الرومان أحس أن اليهود سلموه للقتل حسدا منهم عليه فأراد أن يعفو عنه لأن يسوع ما كان عدوا له يوما ، وليس بينه أية مشاكل فما هو إلا رجل

صالح أرسل معلما ليهود بني جنسه ولم يطالب أحدا من غير بني إسرائيل بالإيمان به بل على العكس نهى رسله عن دعوة أحد غير بني إسرائيل :

" هؤلاء الاثنا عشر رسولا أرسلهم يسوع وقد أوصاهم قائلا : لا تسلكوا طريقا إلى الأمم (غير اليهود) ولا تدخلوا مدينة سامرية بل اذهبوا بالأحرى إلى الخراف الضالة إلى بيت إسرائيل " (متى : ١٠)

بل اعتبر أن دعوة غير اليهود من سائر الأمم خطأ كبيرا بل شبهه بمن يلقي بخبز أبنائه للكلاب :

" غادر يسوع تلك المنطقة وذهب إلى نواحي صور وصيدا فإذا امرأة نواحي كنعانية (عربية) من تلك النواحي قد تقدمت إليه صارخة : ارحمني يا سيد يا ابن داود ابنتي معذبة جدا يسكنها شيطان ، لكنه لم يجبها بكلمة فجاء تلاميذه يلحون عليه قائلين : اقضي لها حاجتها فهي تصرخ في إثرنا فأجاب : ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة إلى بيت إسرائيل ، ولكن المرأة اقتربت إليه وسجدت له وقالت : أعنِّي يا سيد فأجاب : ليس من الصواب أن يؤخذ خبز البنين ويطرح لجراء (صغار) الكلاب " (متى : ١٥)

" لا تعطوا ما هو مقدس للكلاب ولا تطرحوا جواهركم أمام الخنازير لكي لا تدوسها بأرجلها وتنقلب عليكم فتمزقكم " (متى : ٧)

إذن يسوع أرسل لتبشير اليهود ولا علاقة له بغيرهم من بقية الأمم وطوال حياته لم يدع واحدا من غيرهم ولم يؤمن به واحد من غير اليهود لذا فلا عداء بينه وبين القيصر الوثني إلا علاقة محكوم بحاكم ، وقد حاول اليهود أن يسْتَعْدُوا يسوع على القيصر عندا جاء عماله ليحصِّلوا الجزية فردهم خائبين .

" ثم أرسل إليه بعضا من الفريسيين وأعضاء حزب هيرودس .. وقالوا له .أيحل أن ندفع الجزية للقيصر أم لا ؟ ولكنه إذ علم رياءهم قال لهم : لماذا تجربونني ؟ احضروا دينارا لأراه فأحضروا إيه دينارا فسألهم : لمن هذه الصورة وهذا النقش ؟ قالوا له : للقيصر فرد عليهم قائلا : أعطوا ما لقيصر للقيصر وما لله فذهلوا منه "
(مرقس : ١٢)

بل إن هيرودس حاكم الرومان على الجليل كان قد سمع الكثير عن يسوع ورجا أن يرى آية تجرى على يده فلما أرسله له بيلاطس ليحاكمه وجدها فرصة ليتعلم من هذا

الرجل البار فأخذ يسأله في قضايا كثيرة لكن يسوع رفض الكلام وأصر على الصمت ولم يجبه بشيء مما جعل هيرودس يحتقره هو وجنوده ويسخر منه– إذ أنه لا يعلم أنه ما أرسل إلا لليهود – وألبسه ثوبا برّاقا ورده لبيلاطس مرة ثانية : " ولما رأى هيرودس يسوع فرح جدا لأنه كان يتمنى من زمان طويل أن يراه بسبب سماعه الكثير عنه ويرجو أن يرى آية تُجري على يده فسأله في قضايا كثيرة أما هو فلم يجبه عن شيء . ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يتهمونه بعنف فاحتقره هيرودس وجنوده وسخر منه إذ ألبسه ثوبا براقا ورده إلى بيلاطس " (لوقا:٢٣)

وعاد بيلاطس حاكم الرومان يسأل اليهود :
" بماذا تتهمون الرجل ؟ أجابوه : لو لم يكن مذنبا لما سلمناه إليك ! "
(يوحنا : ١٨)

ولما كان لليهود سلطة الفصل في القضايا الدينية حسب شريعتهم دون الرجوع لحاكم الرومان فقد طلب بيلاطس من اليهود محاكمة يسوع حسب شريعتهم لكن في هذه الحالة وبرغم أن القضية داخلة في إطار تخصص مجلس اليهود إلا أنه ليس من سلطتهم تنفيذ حكم الإعدام في أحد إنما كان المختص بتنفيذ هذه الأحكام والي القيصر لذا طلبوا منه تنفيذ حكم الإعدام الذي أصدره المجمع اليهودي .

" قال بيلاطس خذوه أنتم وحاكموه حسب شريعتكم . فأجابوه لا يحق لنا أن نقتل أحدا ." (يوحنا : ١٨)

وإذ لم يقدم اليهود دليلا على صحة اتهاماتهم لليسوع والتي تضمنت التهم الآتية " تبين لنا أن هذا يضلل أمتنا ويمنع أن تدفع الجزية للقيصر ويدعي أنه المسيح الملك " (لوقا : ٢٣)

راح بيلاطس يسأل يسوع دفاعا عن نفسه فلم يظفر منه برد إلا إقراره بأنه ملك اليهود .

"فسأله بيلاطس : أ أنت ملك اليهود ؟ فأجابه : أنت قلت "

(مرقس : ١٥ ، ولوقا : ٢٣ ، ومتى : ٢٧)

وأصر رؤساء اليهود على صلب يسوع وادعوا أنه كافر بشريعتهم وأنه مدع للألوهية ويستحق الصلب لكن بيلاطس إذ يحس أن اليهود ما سلموا يسوع إلا حسدا راح يعرض عليهم إطلاق سراح المذنب – بزعم اليهود – كما تعود أن يفعل في العيد ولكنهم رفضوا وفضلوا أن يطلق لهم قاتلا (باراباس) على أن يطلق لهم يسوع !

" وكان من عادته (بيلاطس) أن يطلق لهم في العيد أي سجين يطلبونه وكان المدعو باراباس مسجونا عندئذ مع رفاقه المشاغبين الذين ارتكبوا القتل في أثناء الشغب .. فكلمهم بيلاطس سائلا : هل تريدون أن أطلق لكم ملك اليهود (يسوع) لأنه علم أن رؤساء الكهنة كانوا قد سلموه عن حسد ولكن رؤساء الكهنة حضوا الجمع على أن يطالبوا بالأحرى بإطلاق باراباس فعاد بيلاطس يسألهم فماذا تريدون أن أفعل بمن تدعونه ملك اليهود ؟ فراحوا يصرخون مرة بعد مرة : اصلبه ! فسألهم بيلاطس وأي شر فعل ؟ إلا أنهم أخذوا يزدادون صراخا : اصلبه ! وإذ كان بيلاطس يريد أن يرضي الجمع أطلق لهم باراباس وبعد ما جلد يسوع سلمه ليصلب" (مرقس:١٥)

وأعلن بيلاطس أنه بريء من دم يسوع ودعا اليهود أن يراجعوا أمرهم فأصروا على صلبه وأنهم يتحملون دمه .

" قال (بيلاطس) أنا بريء من دم هذا البار فانظروا أنتم في الأمر فأجاب الشعب بأجمعه : ليكن دمه علينا وعلى أولادنا ! . فأطلق لهم باراباس وأما يسوع فجلده ثم أسلمه للصلب " (متى: ٢٧) .

موقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود

كان الموقِف التقليدي للكنيسة الكاثوليكية، خِلال قرِيبٍ مِن ألفي عام، تِجاه اليهود، يقوم على ثلاثِ نظرِيات، حتى مجمع الفاتيكان الثانِي، وقوانِين: ١٩٦٤ وهذِهِ النظرِيات هِي :

١. إن اليهود بِقَتْلِهِم يَسُوع، قد قتلوا الرب، فهم الشعب " قاتل الإله ".
٢. والشعب المختار مِن الرب هو منذئذٍ الكنِيسة .
٣. والعهد القدِيم تجسِيد رمزي مسبق لِلعهدِ الجدِيد .

لقد أدَّى التفسِير التقليدي . إذن . إلى تصور أن اليهود حِين رفضوا الاعتِراف بيسوع رسولا لِلرب ، فلم يهتدوا، قد قطعوا أَنفسهم مِن الأمة الإبراهيمية، وصاروا بِصرف النظر عن كونهم الشعب المختار، محكوما عليهِم بِاللعنةِ، جرَّاء آثامهم، لقد عاقبهم الله مِن قبل بِأَن طردهم من فلسطين، ودفعهم سبايا إلى بابل، ومع ذلِك فقد تمَّ الوعد الذِي أَعطاه الرب لإبراهيم، رغم خطاياهم، فبعد أن عُوقبوا بالسبي فِي القرن السابِع قبل المِيلاد أعادهم "قورش" إلى فلسطين، وعِندما عَصَوا مرة أخرى وكان عِصيانهم كبِيرًا برفضهم الاعتِراف بيسوع، مسِيحًا مكملاً لِلوعدِ . عاقبهم الرب بِصورة أقسى، أيضًا، فقد قَطَّعَهُم فِي الأرض أُمَمًا، وَفَرَّقَهُم فِي كل أنحاء الدنيا، فلم يَعُد يجد السلام مِن بينهم . منذئذ . إلا بعض أَفراد، يتحوَّلون إلى المسِيحِية.

وما لبِثت أهمية أورشليم ذاتها أن تناقصت فِي نظر الكنِيسة، ولا سيما بعد عام: ٥٩٠ م، ففِي عهد البابا جريجوار الأكبر، والذِي كان جالِسا على كرسي البابوية، مركز السلطة المسِيحِية . منح الأولوية نِهائِيًّا لروما، وبذلك لم يَعُد لأورشليم دَوْر فِي القِيادة الروحِية، لم تَعُد سوِي مكانٍ للحج، ولم تَسْتَعِدْ قِيمتها، باعتبارها مركزًا للاهتمام إلا عِندما اِستولى عليها الأتراك السلاجقة، وحينئذ وُلدتْ فِكرة الحروب الصلِيبِية.

تِلكمُ هِي النظرِية الرسمِية للكنيسة الكاثوليكية، خِلال ألفي عام، وكان لها نتيجتانِ عامتانِ:

١- أنها أدَّت إلى تولد مبدأ معاداة السامية ، وهو مبدأ مسِيحِي مِن الناحِية النوعِية، فقد اعتبرت الكنِيسة الكاثوليكية، حتى منتصف القرن العشرين، أن "اليهود" كانوا هم "الشعب القاتِل"، قاتل الرب فِي يسوع المسِيح، وهِي فِكرة بشِعة، تجعل شعبا بأكمله، ولعدة قرون، مسئول عن جرِيمةٍ ارتكبتها منذ ألفي عام هيئته الكهنوتية.

٢- ومن الناحِية العقدِية والتفسِيرِية . كانت النظرِية الرسمِية . ولا سيما منذ "مدِينة الرب " للقديس أوغسطين أن تكون قِراءة العهد القدِيم بِطرِيقةٍ رمزية تُرى فِي المشاهد التِي قدمها باعتبارها أحداثا تاريخية، كما تُرى فِي نبواته . تَصَوُّرًا رمزيًّا مُسَبَّقًا لِلمسِيحِيةِ .

أما فِيما يتعلق بِالحالةِ الخاصة للكنيسة المسِيحِية وعِلاقتها بالتاريخ اليهودي السابِق عليها فإنها قد فسرت "عودة صهيون" بِأنها مِن الناحِية الرمزية تشبه عودة المسِيحِي إلى نقاء إيمانه.

وهكذا مطَّطوا فِي الحركة، التِي كانت فِي الأناجيل، ولا سيما إنجيل متَّى . تهدف إلى تِبْيَان أن فِي حياة المسِيح إنجازًا لتنبؤات العهد القدِيم .

يقول المؤرخون الأكاديميون اليهود: " تعتبر الديانة المسيحية نفسها الوريث الطبيعي للديانة اليهودية، ويولع المسيحيون باعتبار أنفسهم "إسرائيل الحقيقية مفترضين بذلك أن اليهود ليسوا أهلا للاسم. وبسبب اعتبار المسيحية نفسها ناسخة لليهودية فإن النظرة المسيحية الذاتية نفسها تتطلب أن يهان اليهود والديانة اليهودية ويصغروا

علانية. وأصبح إذاً في غاية الأهمية لليهود الذين يعيشون بين المسيحيين أن يعيشوا في وضع منحط ومهين .[1]

لقد ظهرت نزعة معاداة السامِية، المسِيحِية أصلا . مصحوبة بِانفِجار شرسٍ جِدا، أثناء الحروب الصلِيبِية، وكانت أول المذابح الكبرى التِي أقيمت لليهود على يدِ المحاربين المسيحيين، وهم فِي طرِيقهم إلى فلسطين، بل إن جودفروي دوبريون، بِمجرد استيلائه على بيت المقدس لم يقنع هو وجيشه بإبادة المسلِمِين أو طردهم، فقد حبسوا الأمة اليهودية فِي المعابد، ثم أهلكوها إِحْرَاقًا.

وفِي أوربا كان الملوك الصليبيون هم الذِين طردوا اليهود: إدوارد الأول فِي إنجلترا، وقد طردهم عام: ١٢٩٠م، وفيليب دي بل، ملك فرنسا، طردهم عام: ١٣٠٦م، وقد مضى ملوك إسبانيا إلى هذينِ الحدَّينِ من التطرف فِي أوربا "المسِيحِية"، فقد طرد اليهود أو ذبِحوا بيد الملوك "الكويوليك جِدًّا"، وذلِك إِبَّان نجاحهم فِي هدم آخر الممالِك الإسلامِية عام: ١٤٩٢م، مملكة غِرناطة.

أما روسيا المقدسة فقد كانت مسرحًا لمذابح كبرى لليهود . [2]

الفاتيكان ووثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح

وقد يكون عجيبا مع هذا العداء الكاثوليكي لليهود إن يصدر الفاتيكان (مركز السلطة المسِيحِية الكاثوليكية) في عام (١٩٦٥) بعد المجمع الفاتيكاني الثاني وثيقة يبرئ فيها اليهود من دم المسيح جاء فيها : " مع أن سلطاتٍ يهودية قد ساقت مع أنصارها المسِيح إلى الموت، فإن ما اقتُرِف خِلال آلامه لا يمكِن أن يَحْمِل وِزْرَه جمِيع اليهود الذِين كانوا أحياء آنذاك دون تفرِيق، ولا يَحْمِل وِزْرَه أيضا يهودُ عَصْرنَا . "

لكن إن تدبرنا الأمر مليا نجد أن المقصود من إصدار هذه الوثيقة هو تبرئة اليهود المعاصرين من دم المسيح وفي هذا اعتراف من الفاتيكان بأن اليهود المعاصرين ليسوا حفدة اليهود على عهد يسوع الذين نصت الأناجيل على أن دم المسيح عليهم وعلى أولادهم .

([1])الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق .ص ٥٥، ٥٦

([2]) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الأول : العهد القديم وميلاد الصهيونية المسيحية . مرجع سابق .

" فأجاب الشعب (اليهودي) بأجمعه ليكن دمه علينا وعلى أولادنا "(متى: ٢٧)

وكثير من الكتاب المسلمين يفهم هذه الوثيقة على أنها دليل دامغ على التحالف المسيحي الغربي مع الصهيونية العالمية ضد المسلمين ، ولم يلتفت إلى أنها ذات وجهين :

١- **وجه ديني** معادٍ لليهود حيث إنها تقطع صلة النسب بين يهود اليوم وبين اليهود على عهد يسوع وبالتالي تجردهم من العهود المقدسة – التي يدعونها – في أرض الميعاد ، والاختيار ، وفي الخلاص ، ...

٢- **وجه سياسي** نفعي مؤسَّس على العقد الصامت بين الحضارة الغربية والحركة الصهيونية الذي تتعهد بمقتضاه الحضارة الغربية بأن تقوم بنقل اليهود إلى فلسطين وتأسيس دولة وظيفية لهم فيها، ورعايتها وحمايتها وضمان بقائها واستمرارها نظير أن يقوم اليهود على خدمة مصالح الغرب .

موقف المسيحيين البروتستانت من اليهود

عندما ظهر المذهب البروتستانتي على يد مارتن لوثر في القرن السادس عشر، قلب المسيحية رأساً على عقب، من خلال التغيرات اللاهوتية التي جاء بها والتي روجت لفكرة أن اليهود أمة مُفَضَّلَة وأكدت على ضرورة عودتهم إلى أرض فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر وبزوغ فجر العصر الألفي السعيد .

وكان من أهم الأسباب التي أدت إلى حدوث هذه التغيرات اللاهوتية، هو ما دعا إليه لوثر من عدم الاعتراف بأن فهم الكتاب المقدس وقفا على رجال الكنيسة وحدهم . وهذا الوضع أدى إلى فتح الباب على مصراعيه أمام أصحاب البدع والأضاليل، مما أدى إلى تعدد الفرق البروتستانتية نفسها حتى وصل عددها الآن إلى أكثر من ٢٠٠ فرقة في مذهب لم يتعد وجوده أكثر من أربعة قرون !

كما أنه في ظل هذا المذهب أزداد الاهتمام بالعهد القديم (التوراة) تحت شعار العودة إلى الكتاب المقدس باعتباره مصدر العقيدة النقية، مع عدم الاعتراف بالإلهامات والتعاليم غير المكتوبة التي يتناقلها الباباوات الواحد عن الآخر والتي تعتبر مصدراً مهماً من مصادر العقيدة المسيحية .

وهكذا أصبح العهد القديم يشكل جزءاً مهماً من مصادر العقيدة البروتستانتية، فأصبح هو المرجع الأعلى للسلوك والاعتقاد ومصدراً للتعاليم الخلقية والمعلومات

التاريخية أيضاً واحتلت فكرة عودة المسيح إلى الأرض، مكاناً رئيسياً في الفكر ا المسيحي البروتستانتي .

وتقوم هذه الفكرة على أساس الاعتقاد بأن السيد المسيح سيعود إلى الأرض ثانية (قبل بداية الألفية الثالثة للميلاد) ليقيم مملكة الله على الأرض والتي ستدوم ألف عام (العصر الألفي السعيد) حيث سيحكم العالم من مقره في مدينة القدس . ويعتقد المسيحيون البروتستانت أنه لابد من حدوث بعض الأمور كمقدمة لهذه العودة، وهى

١- إقامة دولة إسرائيل بحدودها التوراتية من النيل إلى الفرات وعودة اليهود إليها .

٢- إقامة الهيكل اليهودي .

٣- وقوع معركة فاصلة بين قوى الخير وقوى الشر تسمى(هرمجدون) " (١)

إذن كل من الكاثوليك والبروتستانت يرون أن الكنيسة هي التي ورثت الوعود من اليهود مع فارق رئيسي بينهما ، ففي حين أن الكاثوليك يناصبون اليهود العداء جهارا ، ويرمونهم بالكفر صراحة ، ويتمنون فناءهم يقيناً، نجد أن البروتستانت لا يفعلون ذلك بل يرون أن الخلاص لا يتم إلا بتحقيق عودة اليهود إلى وطنهم وتنصيرهم، أي التخلص منهم عن طريق التهجير والتنصير وهم في ذلك يتفقون مع الصهيونية التي ترى " أن الأسطورة الاسترجاعية هي أسطورة صهيونية ومعادية لليهود في آن واحد. فهي ترى أن الخلاص لا يتم إلا بتحقيق عودة اليهود إلى وطنهم وتنصيرهم، أي التخلص منهم عن طريق التهجير والتنصير .

ومعنى هذا أن البروتستانت – وهي عقيدة معظم الأمريكان والإنجليز – ترى أن المسيح المخلص لن يأتي إلا بعد أن يتمكن اليهود من العودة إلى فلسطين ثم ينزل المسيح بن مريم – وليس ابن داود – لينصِّر اليهود ويحقق للمسيحيين الخلاص و يبيد أعداءهم من غير المسيحيين وهذا ما يحدث في معركة هرمجدون .

" وعندما يعود ابن الإنسان في مجده ومعه جميع ملائكته، فإنه يجلس على عرش مجده، وتجتمع أمامه الشعوب كلها، فيفصل بعضهم عن بعض كما يفصل الراعي الغنم عن الماعز، فيوقف الغنم عن يمينه، والماعز عن يساره؛ ثم يقول الملك للذين

---

(١) الصليبيون الجدد www.alshaab.com

عن يمينه: تعالوا يا من باركهم أبي، رثوا الملكوت الذي أُعد لكم منذ إنشاء العالم... ثم يقول للذين عن يساره: ابتعدوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وأعوانه!... فيذهب هؤلاء إلى العقاب الأبدي، والأبرار إلى الحياة الأبدية ! "
(متى:٢٥)

إن المذهب البروتستانتي ، وما يتعلق به من أساطير (العودة ، والاختيار ، والخلاص) يظهر بِصورة أكثر قوةً لدى المُتزمِّتين المهاجرين إلى أمريكا، الذِين أشبهوا عِبرانييِّ السبي: فلقط هربوا من عبودِية فرعون "جاك الأول"، وهم يهربون من أرض مِصر "إنجلترا" ليصلوا إلى الأرض الجدِيدة "أمريكا".

لقد كانوا يهتفون بيشوع، وهم يطاردون الهنود الحمر، كيما يستولوا على الأراضي الأمريكية، كما كانوا يهتفون "بالإبادة المُقَدَّسَة" أو "التَّحْرِيم" الذِي ذُكر فِي العهد القدِيم، ولقد كتب أحدهم يقول: "مِن الواضِح أن الرب دعا المُستعمرين إلى الحرب، إن الهنود الحمر والقبائِل المتحدة معهم يعتزون بِعددِهِم، وأسلِحتهم، وقدرتهم على صنع الشر، تماما، كما كانت القبائِل القدِيمة مِن العمالقة والفلسطينيين تتَّحد مع القبائِل الأخرى ضِد إسرائيل .

فالثقافة التوراتية فِي نظر متزمتي أمريكا، إنجلترا . يجب أن تكون حِرفِية، وهذا اللاهوت الغرِيب عن أي نصراني . يرى أن "الوعد" لا يتم بِمسِيح، يحقق ملكوت الرب، ذلِك أن جمِيع "وعود" العهد القدِيم تخص اليهود، من حيث هم جِنس، مرتبط بيعقوب ، بِرباط الدم، وليس "إسرائيل الرب" أي: الأمة الروحِية المنبثقة عن إبراهيم، لا باستمرار رابِطة الدم، بل بِاستِمرار الإيمان.

لقد كانت النتائِج السياسِية لِهذا المفهوم واضِحة، ومعمرة، ولاسيما فِيما يَتَعَلَّق بِموقِف البروتستانت الأمريكيين، تجاه "دولة إسرائيل" الحالِية.

ففِي عام: ١٩١٨ كتب الرئِيس ولسون، مَدْفُوعًا بِهذا التقلِيد، إلى الربانِيّ ستيفن وايز "خِطاب: ٣١ من أغسطس ١٩١٨" . يُخبره بِموافقتِهِ على وعد بلفور، معتمِدًا على الأسطورة الصهيونية.

وفِي عام: ١٩٤٨ لم تكن المسألة مسألة "وعد" "بِوطنٍ قومي يهودي"، كما هو وعد بلفور، بل بِحدود بالِغة التجسِيد لدولة، وقد قِيل آنذاك: "إن حدود الأرض الموعودة لإبراهيم يجب أن ترد خِلال الألف عام، ولسوف يعود المسِيح إلى الأرض فِي مملكة، بِالمعنى الحرفي، الثيوقراطي، ومع حكومةٍ تقوم على إثْر الحكومة القومية القائِمة .

وعِندما يتحدث رئِيس أمريكي للمرة الأولى منذ إنشاء دولة إسرائيل، وهو جيمي كارتر فإنه يعلن فِي الكنيست فِي مارس: ١٩٧٩: "أن إسرائيل والولايات المتحدة قد أنشأهما الرواد، إن بلادي أيضا أمة مِن المهاجرين واللاجئين، أنشأتها شعوب قدِمت من بِلادٍ كثِيرة... إننا نقتسم تراث الكِتاب المقدس (١)

وكان هذا التقارب الأخير قد تم تحدِيده على لِسان كارتر فِي قوله: "إن اِستِقرار الأمة الإسرائيلية هو تحقِيق للنبوءة الكِتابِية . (٢)

أن ممثلي الطوائف البروتستانتية الأمريكية والغربية تطرح نفس المقولات التي يرددها حاخامات اليهود حول القدس، بل إنها تغالي في أصوليتها المتزمتة وعدائها العنصري للعرب والمسلمين.

وهي التي تدفع باتجاه هدم الأقصى والإسراع ببناء ما يسمى الهيكل حتى يأتي المسيح الجديد.

وهذه الطوائف لها الصدارة في الشؤون السياسية والإعلامية في الولايات المتحدة وهي تمثل أكثر من مائة مليون بروتستانتي أمريكي من بينهم رؤساء للولايات المتحدة وزعامات الحزبين الجمهوري والديموقراطي." (٣)

إن الرؤية الخرافِية لفلسطين، فِي الصهيونية المسِيحِية، تنبع من اللاهوتِ المسِيحِي البروتستانتي وهو لاهوت فاسِد أيضا "يتخذ من العهد القدِيم نصا تاريخيا وعقائديا معا، وهو يُغَيِّر مركز اللاهوت المسِيحِي ذاته، حِين يجعل العهد القدِيم فِي المحل الأول، بدلا من الإنجيل الذي جاء بِه يسوع .

هذِهِ النظرِية اللاهوتية الزائفة تنبع مِن قراءة انتقائية لِلكِتابِ، فعلى حِين كان بعض المسيحيين منذ أربِعة قرون ينشرونه، كان اليهود يرفضونه حتى القرن العشرين.

وفِي مقابِل ذلِك استُغلَّت التوراة من الناحِية السياسِية، منذ لوثر سواء أكان الاستغلال لغايات معادية للسامية: "وهِي التخلص مِن اليهود بِإرسالِهِم إلى فلسطين، على أنها منفى عالمي للمنبوذين". أم كان لغايات إمبريالية "تحكُّم استعماري، بوساطة

---

(١) صحِيفة جيروزاليم بوست مارس ١٩٧٩. نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق

(٢) جيمي كاتر "أول مايو ١٩٧٨" Department of state Bulletin ج ٢٨ عدد ٢٠١٥ صِ" ٤ نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(٣)حسن الباش www.qudsway.com .

اليهود ذوِي التكوِين الغربي، فِي الشرق الأوسط، وفِي منافِذ آسيا"، أم كان لغاياتٍ للصهيونية السياسِية، "تعتمد على الإمبريالية الروسية، والإنجليزية، وأخِيرا الأمريكية، لتأييد مشروعاتها، وتعتمد على نزعة معاداة السامية لتَقْهر يهود الشتات "على رفض الاندماج، والمجِيء لخلْق دولة قوِية فِي فلسطين".

لقد كانت الدعوة إلى عودة اليهود إلى فلسطين، خِلال بضعة قرون، مِن لوثر إلى بِلفور، وسِيلة إلى إبعادهم مِن البِلاد التِي يعيشون فِيها حتى ذلِك الحِين .

أما الرجل الذِي تحرك ليحطم التقليد الكاثوليكي فقد كان هو أصل "الصهيونية المسِيحِية"، مارتن لوثر، وكان له فِي هذا الصدد موقِف ذو مغزى، ففِي الوقت الذِي كانت ترجمته لِلكِتابِ المقدس تضع فِي المقام الأول ملحمة العِبرانيين، التِي تنبثِق من قِراءةٍ حِرفِية خالِية مِن أي درس نقدي وتاريخي لِلعهدِ القدِيم، كان هو يعبر بِوضوح عن سرِيرته المعادية للسامية: فبعد أن كان فِي كِتاباته الأولى مثلا يقول: "إن هذا المسِيح ولد يهوديا" "عام: ١٥٢٣م"، فيمجِّد اليهود باعتبارهم ورثة الوعد . تعبر أعماله المتأخرة عن اِتجاه سوف يظل ثابِتا منذ كان، وهو: الربط بين الصهيونية "العودة إلى فلسطين"، وبين معاداة السامية "وهِي طرد اليهود من بلده"، وقد كتب عام: ١٥٤٤م يقول: "من الذِي يمنع اليهود مِن أن يعودوا إلى أرضهم، أرض يهوذا؟ لا أحد، ونحن نقدم إلِيهِم كل ما يحتاجون من أجل سفرهم، لمجرد أن نتخلص مِنهم، فهم بالنسبة إلِينا حِمْل ثقِيل، وهم آفَة وجودنا.. (١)

وتكمن هذِهِ الفِكرة الباطِنِية لدى لوثر، والتِي كانت أصل "الصهيونية المسِيحِية" فِي عقل ذلِك الذِي حقق "للصهيونية السياسِية" انتصارها الأول: بلفور. عِندما كان أرثر بلفور رئِيس وزراء إنجلترا دافع . فِي عام: ١٩٠٥ م . عن قوانِين الأجانِب " لتحديد الهجرة اليهودية إلى إنجلترا، ويومها اِتهمه المؤتمر الصهيوني السابِع بمعاداة السامِية المقررة ضِد الشعب اليهودي كله .

لقد هيمنت هذِهِ النزعة الأساسِية المعادية للسامية عليهِ طيلة حياته، قبل وبعد: ١٩٠٥م، واتَّفَقَت فِي نفس الوقت مع الفِكرة الصهيونية التِي تطالب بِإِعْطَاء أرض لليهود "من أجل إزاحتهم من إنجلترا على وجه التحدِيد"، وقد اِقترح بلفور منذ عام:

---

(١) مارتن لوثر: Saimtliche wewrke ج . ٣٢ صَ ٩٩ و ٣٥٨ نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

١٩٠٣ إعطاءهم أوغندا، وفِي عام ١٩١٧، وخضوعا لأهدافه فِي الحرب ضِد ألمانيا كتب إلى اللورد روتشيلد إعلانه لِصالِح: "وطن قومي لليهود فِي فلسطين" (١)

المذهب البروتستانتي قراءة مغلوطة للإنجيل

إن تفسير البروتستانت لِلكِتابِ المقدس يعتبر دنسًا بالنسبة إلى المسيحيين، فهو يستتبِع بالنسبة إلى اليهود العودة بِالإيمانِ إلى مفهوم قَبْلِي، ليضع مكان رب إسرائيل دولة إسرائيل، فأما المؤرخون والمفسرون فيرون هذِهِ القِراءة على أسطورة، وأما الآخرون فيرون أن هذِهِ الأسطورة تستخدم فِي تغطِية سِياسة قومِية، واستعمارية تقوم على التمييز العنصري، وعلى التوسع بلانهاية.

ولسوف يتولد عن اِنبِثاق فِكرة "الاختِيار" سلطات دِينِية "ثيوقراطيات" جدِيدة وزائفة، ذلِك أنه بِمجرد أن يظهر أناس، أيا كانوا خِلال التاريخ، يعتبِرون أنفسهم موظفين لدى المطلق، فإن هذا الادعاء يؤدي إلى خلْق مذابح، وحروب صلِيبِية، ومحاكِم تفتِيش، واستِعمار، وتمييز عنصري، حقا لقد أدانت وثِيقة المصالحة هذا التمييز العنصري

ولكِنها تبقى على جرثومته بِالضرورةِ وهِي تخلد الفِكرة الملعونة، فِكرة "الشعب المختار"، وهِي فِكرة نفتها الرسالة الإنجيلية بِصورة مؤكدة، لو أننا قرأناها فِي مجموعها ، ولم نقِف عِند الصيغ الحرفية المنتزعة مِنْ سياقها.

كيف يستطِيع مسِيحِي أن يؤيد النظرِية "المادية" التِي تقرر أن الوعد وعد بِأرض لشعب معين، على حِين أن الإنجيل ما فتئ يردد أن الوعد قد تم فِي يسوع . المسِيح، ومن أجل الإنسانية كلها .

ومِهما يكن أمر الاتصال أو الانفِصال بين العهد القدِيم والجدِيد، فإن ما يبقى هو أن "الوعد" بالنسبة إلى أي مسِيحِي يتِم فِي يسوع المسِيح، ولا يمكِن أن يكون وعدًا بِأرض.

ويسوع يُبَشِّر " بمَلكوت الرب "، ولكن هذِهِ البشارة ليست مُقَيَّدَة بالنسبة إليهِ بِمُجَرَّد اِستِردادٍ قومِي لأرضٍ.

ويسوع لا يعترف بِأي حق إلهي للإمبراطور الروماني، ولا لهيرودس، وهو يرفض فِي ثلاثة مواضع من الأناجيل رفضًا قاطِعًا أن يربط رِسالته بِتملُّك أرض أوسلطة،

---

(١) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الأول : العهد القديم وميلاد الصهيونية المسيحية . مرجع سابق .

وعِندما أراد الشيطان مِن أعلى جبل أن يُريه ممالك العالِم، وأن يُقدمها إليهِ قال له يسوع: "اذهب يا شيطان". "متى ٤/١٠".

إنه يرفض أن يدعى "المسِيح"؛ لأن التقليد اليهودي يجعل لِهذا الاسم مفهوما سِياسِيا، فهو يضرب . إذن . صفحا عن أولئِك الذِين أعطوه هذا اللقب، يضرب صفحًا . مثلاً . عن بطرس حِين يقول له: أنت المسِيح. "مرقص ٨/٣٠" وحِين يسأله رئِيس الكهنة قيافَا: "هل أنت المسِيح اِبن الله ؟ "، "مَتَى ٢٦/٦٤ ، ولُوقا ٢٢/٦٨".

وعِندما يسأله ببلاطس: أنت ملك اليهود؟ يتجنب يسوع هذا الشرك، وبدلا مِن أن يجِيب بِنِعم أو لا . يقول: مملكتي ليست من هذا العالِم" . "يوحنا ١٨/٣٣. ٣٦".

إن مسيحيته تمضي على النقِيض مِن مسِيحِية اليهود التقليدية، أولئِك الذِين كانوا ينتظِرون مسِيحًا يبعث مملكةَ داود.

ومِما له مغزى فِي هذا الصدد أن الكرسي البابوي لم يعترف مُطْلَقًا بدولة إسرائيل، وأن البابَا بولس السادس فِي خطبته التِي ألقاها فِي: ٢٢ من ديسمبر: ١٩٧٢ أمام المجمع المقدس . قد اِعترف بِالظُّلْمِ الواقِع على "أبناء الشعب الفلسطيني الذِين ينتظِرون منذ سنوات كثِيرة، ويُطالبون بِالاعتِرافِ العادِل بمطامحهم"، وقد رفض البابا أن يُقَدِّم تبرِيرا دِينِيَّة لدولة إسرائيل، وأعلن بِمناسبة بناء بعض المستعمرات الصهيونية فِي الأرض المحتلة، قوله: "إن الدعم التدريجي لأوضاع خاصة ذات أساس قانوني واضِح، معترف بِهِ دوليا ومضمون . يجعل مِن العسِير إِيجاد تسوِية عادِلة تأخذ فِي اعتبارها مصالح الجمِيع، بدلاً من تسهِيل الوصول إِليها".

وهناك مؤشّر آخر على وعي المسيحيين بواقع المشكِلة هو: الموقِف الذِي اتخذه المجلِس المسكوني للكنائس فِي جمعيته العالمية السادسة، فِي فانكوفر، "من: ٢٤ من يوليو إِلى: ١٠ أغسطس:١٩٨٣م" فقد جاء فِي بيانه قوله: "إن بعض التفسِيرات اللاهوتية قد حالت دون أن يتمكن المسيحيون فِي مناطِق أخرى من تقييم تطور الوضع الديني والسِياسِي فِي الشرق الأوسط، بِطرِيقة صحِيحة"، "وإن السياسة الإسرائيلية لاحتلال المدن الأردنية قد أدت إِلى ضمِّها فِي الواقِع، وبذلك اِكتمل تطبِيق سِياسة عنصرية لتنمية السكان، كما حدث انتهاك صارخ لِلحقوقِ الأساسِية للشعب الفلسطيني". (١)

---

(١) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الأول : العهد القديم وميلاد الصهيونية المسيحية .مرجع سابق .

اختلاف مسيحيي العرب مع المذهب البروتستانتي

إن موقف المسيحيين العرب جد مختلف عن مسيحي الغرب البروتستانت وذلك يرجع لاختلافات جوهرية بينهما :

١- إن المسيحيين العرب معظمهم أرثوذكس ، وقليل منهم كاثوليك ، وموقف الأرثوذكس والكاثوليك يختلف تماما عن موقف البروتستانت (عقيدة غالبية الأمريكان والإنجليز) فيما يتعلق بالوعد الإلهي لبني إسرائيل ، وعقيدة شعب الله المختار، والعودة إلى أرض الميعاد .

فالأرثوذكس والكاثوليك يريان " أن مجيء المسيح قد نقض العهد الإلهي لإسرائيل وأنهاه .

فبعد المسيح لا وعد ولا اختيار إلا لمن آمن بالخلاص وسعى إليه.

وباب الخلاص مفتوح لكل الناس بلا استثناء، وعلى اليهود أن يؤمنوا بالمسيح مثلهم مثل غيرهم إذا أرادوا الخلاص. أما النبوءات الخاصة بعودة اليهود فكانت تُؤوَّل على أنها تحققت حينما أعادهم قورش الفارسي إلى فلسطين.

أما الفقرات الأخرى التي تتنبأ بمستقبل مُشرق لإسرائيل فتقتصر على إسرائيل الجديدة وحسب، أي الكنيسة المسيحية. وبعد ظهور المسيح وإنكار اليهود له أصبح اليهود إسرائيل الجسدية الزائفة والشعب المختار للعنة الإله وأصبحت اليهودية اسما لا ديناً " (١) .

وهذه طائفة من أقوال أبرز الرموز المسيحية العربية التي تؤكد موقفها العقائدي من المسيحية البروتستانتية الأمريكية

يقول د. ميلاد حنا المفكر المسيحي البارز وعضو المجلس الأعلى للثقافة في مصر : " اليهود ركبوا موجة كبيرة جداً في تفسير بعض نصوص دينية في أن يجعل المؤمن المسيحي – البروتستانتي – علشان يبقى مسيحي كويس لازم يؤمن بحق إسرائيل في الوجود وإنها تستنى، وإن دا يخلي المسيح ييجي يقوم دا يحقق القيامة " (٢)

---

(١) د. عبد الوهاب المسيري "اليهود واليهودية والصهيونية " .م٣ ج١ الباب الأول: من التحديث إلى ما بعد الحداثة . مرجع سابق .

(٢) د. ميلاد حنا في حوار أجرته معه قناة الجزيرة في برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢

ويضيف جمال أسعد عبد الملاك (عضو مجلس الشعب المصري الأسبق والمفكر المسيحي المعروف) قائلا : " الأخطر هو الاختراق الصهيوني للمسيحية من خلال إعمال بعض نصوص العهد القديم اللي هو كتاب اليهود لتبرير صفقات سياسية، يعني هو لما ما يقول حكاية الألفية دي، هو المقصود باختصار شديد، الألفية إنه لابد تنتهي ببناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى، ومن هنا يبقى تبرير للوجود الإسرائيلي وإنهاء للقضية الفلسطينية من أساسها، وللأسف الشديد أن هناك بعض المسيحيين يغرر بهم باعتبار إن دي تحت مقولات ونصوص دينية، ومن هنا لا.. لا ينظرون إلى مجمل العقيدة وموقف المسيحية بشكل عام من اليهود، ومعروف إن إحنا كنائسنا التقليدية اللي هي الأرثوذكسية والكاثوليكية ضد الحكم الألفي باعتبار إن إحنا الآن يحكمنا المسيح حكما روحياً، ولا وجود لما يسمى بشعب الله المختار، ولا أرض الميعاد، ولا حكم (ألفي) ولا كل الكلام دا كله الهراء الكذب، " (١)

د. رءوف أبو جابر (رئيس المجلس الأرثوذكسي في الأردن وفلسطين) يقول :

" إن الأرثوذكس هم كبقية العرب المسيحيين جزء لا يتجزأ من هذه الأمة، والتفكير واحد، نحن نشعر بأن الإنجيليين – طائفة من البروتستانت الأمريكيين – هم فعلاً أس البلاء، لأنهم يؤثرون بشكل كبير على السياسة الأمريكية المتعصبة ضد العرب والمسلمين " (٢)

ويقول بطريرك السريان الكاثوليك الإنطاكي أغناطيوس بطرس الثامن عبد الأحد : " إن موقف الكنيسة القبطية المصرية وعلى رأسها قداسة البابا شنودة الذي أصدر أوامره إلى أتباعه بعدم زيارة مدينة القدس ما دامت تخضع للاحتلال الإسرائيلي هذا بالرغم من وجود اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل." (٣)

إن المسيحيين العرب قاوموا الحملات التبشيرية البروتستانتية الغربية واعتبروها خارجة على نهج تعاليم المسيحية الصحيحة وحذروا أتباعهم منها .

وإليك هذا الحوار بين أحد القسيسين الأرثوذكس ، وشاب مسيحي من نفس المذهب حول الجمعيات البروتستانتية التبشيرية :

---

(١) قناة الجزيرة في برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢

(٢) قناة الجزيرة في برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢

(٣) لمزيد من التفاصيل حول موقف الكنيسة الشرقية من الصهاينة : يهودا ، ومسيحيين انظر " اليهود والصليبيون الجدد " للمؤلف الفصل الرابع عشر " موقف مسيحيي العرب من مخطط الصليبيين الجدد " .

" مارك : شفت يا أبونا الإعلان عن هذه النهضة الروحية .

أبونا : آه ده نهضة في جمعية بروتستانتية – خلوا بالكم .

مارك : إحنا مش ممكن نحضرها، لكن عايزين نسمع رأيك في اللا طائفية المزعومة بهذه الجمعية فهي تدعوا الناس للخلاص ، ولا تتعرض إلى أي عقيدة – و ليه بنقول أنها بروتستانتية ؟

أبونا : لأنها جميعه لا تنادى بالتعليم الصحيح وإنما تدعو الناس إلى الخلاص بمفهوم غير أرثوذكسي خالى من الروحانية الأرثوذكسية. " (١)

وموجز القول أن من المستحيل بالنسبة إلى أي مسِيحِي أن يقدم مغزًى لاهوتيًّا لدولة إسرائيل، فإن اِحترام الإيمان اليهودي لا يستتبِع مطلقا الاندماج بين اليهودية والصهيونية، الذِي يؤدي إلى إضفاء صفة القداسة على الأهداف التاريخية لحركة سِياسِية.

هذِهِ القِراءة الانتقائية والقبلِية لِلكِتابِ المقدس ليست أكثر قبولاً بالنسبة إلى اليهودي الروحاني مِنها بالنسبة إلى النصراني الكاثوليكي والأرثوذكسي ؛ لأنها تستتبِع بالنسبة إلى اليهود أنفسهم نوعا مِن الردة: هو أن يستبدلوا "دولة إسرائيل بِإلْه إسرائيل".

أما بالنسبة لليهودي الصهيوني فإنه يتمسك بأساطير الشعب المختار والأرض الموعودة والخلاص ويكفر بما عداها من روحانيات الدين المُوسوي وفي مقدمتها إله إسرائيل الذي منحهم هذه العهود !!

وَكَثِيرًا ما كَرَّرَ بيجن قَوْله:

"إن هذِهِ الأرض أُعطيتْ لنا وعدا، ولنا عليها حق". (٢)

كما كان ديان يقول: "إذا كان لنا الكِتاب المقدس، ونحن نعتبِر أنفسنا شعب الكِتاب المقدس، فيجب أن تكون لنا أيضًا الأرْض الكتابية أرض القضاة، والكهنة، وأرض أورشليم، وحبرون، وأريحا، وأراضٍ أخرى أيضًا" (٣)

فالرجوع إلى الكِتاب المقدس، عِند حزب العمل، أو عِند الليكود، إنما يراد مِنه تدعيم سِياسة ترى أن "فلسطين تخص الصهيونيين بموجب مِنْحَةٍ مَمْهُورَةٍ بِتوقِيع: الله".

---

(١)عن موقع مطرانية الأقباط الأرثوذكس بالفيوم www.stabraammonastery.com/

(٢) تَصْرِيح بيجن فِي أوسلو . صحِيفة "دافار" ١٢ من ديسمبر ١٩٧٨. نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(٣)موشى ديان . صَحِيفَة جيروزاليم بوست . ١٠ من أغسطس: ١٩٦٨. نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

وهذِهِ القِراءة الانتقائية ذاتها هِي التي تُمَيِّز نصوص التوراة، التِي تتَّسمُ بِالعنفِ والشراسة، لتبرِير أعمال الاغتصاب التِي تُمَارَس الآن، وبذلك أصبحت علميات النهْب والإبادة التِي تُمارس ضِدّ المواطنين الأصليين فِي كنعان شرطا وحيدًا للتمسُّك بِالعهدِ. (١)

***

(١) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الأول : العهد القديم وميلاد الصهيونية المسيحية .مرجع سابق .